الإلحاد في العالم العربي
الأسباب والعلاج

د/ حنان عطية الله ضيف الله المعبدي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بجامعة أم القرى

Atheism in the Arab world
Reasons and Treatment

Prepared by:
Researcher/
Dr. HANAN ATIAH ALLAH DAIF ALLAH AL MABADI

Assistant Professor
Department of Doctrine, Umm Al-Qura University

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم فمن أعظم المنن التي من الله بها على عباده أن عرفهم عليه , ودلهم إليه , فهو سبحانه أجل معلوم و أعظمه , الملك الحق المبين سبحانه وتعالى .ومع وضوح العلم به إلا أن فئات من الناس , عميت بصيرتها , و أنكرت الواضح البين , وجادلت في وجود الله تعالى , وللأسف بدأ الإلحاد بالله تعالى ينتشر في البلاد العربية بلاد الإسلام خاصة بين أوساط الشباب مما دفعني للكتابة حول هذا الموضوع لمعرفة الأسباب و تلمس العلاج .

وقد تعرضت في البحث إلى عدة أسباب هي :

١- ضعف التأصيل الشرعي.

٢- غلبة القيم المادية العلمانية .

٣- التبعية الفكرية للعالم الغربي .

٤- وسائل التواصل الاجتماعي .

٥- حب الشهوات .

ومن ثم أجملت طرق العلاج فيما يلي:

١- ترسيخ الحضور القرآني في القضايا الفكرية و العقدية .

٢- تقوية التأصيل العلمي الشرعي للشباب .

٣- اتباع المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات .

٤- مواجهة الإلحاد من قبل المختصين .

وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج من أهمها :

١- وجود الإلحاد في العالم العربي وإن لم يصل إلى حد الظاهرة .

٢- من أهم أسباب الإلحاد ضعف العلم واليقين بالله تعالى .

٣- إن التصدي لهذا الواقع المؤلم ممكن بالرجوع إلى الكتاب و السنة .

ومن أبرز توصيات البحث :

١- استفراغ الجهد و الوسع من كل طوائف المجتمع المؤثرة كل بحسبه لتحصين الشباب من هذا الانحراف العقدي .

٢- تفعيل حضور المراكز المعنية بمواجهة الإلحاد خاصة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي .

٣- اصدار البرامج الوثائقية و الأفلام العلمية التي ترسخ المعتقد الصحيح

Abstract

Praise be to Allah. Peace and prayers be upon our prophet Muhammad, his family and companions.

One of the greatest gifts that Allah gives to His slaves is that He learned Himself to them and guided them to Him. He , the Almighty, is the King, the (very) Truth, that makes all things manifest, Almighty.

With the clarity of knowledge of Allah, however, some people lost the way to the truth, denied the obvious and clear, and argued in the presence of Allah. Unfortunately, the atheism in Allah , the Almighty, started to spread in the Arab Islamic countries especially among young people.

That led me to write about this subject to know the reasons and find the treatment:

I have found out several reasons in the research, such as:

١. Weak sharia mainstreaming

٢. The dominance of secular material values

٣. Intellectual dependency of the Western world

٤. Social media

٥. Love lusty desires

So, I collected the treatment methods as follows:

١. To consolidate the Quranic presence in intellectual and doctrinal issues

٢. To strengthen the scientific and sharia mainstreaming among young people

٣. To follow the sharia approach in dealing with suspicions
٤. To face atheism by specialists
The research found out with a number of results, most importantly:
١. There is atheism in the Arab world, though it is not considered as a phenomenon.
٢. One of the most important reasons for atheism is the weakness of knowledge and faith in Allah
٣. Facing this painful reality is possible by referring to the Quran and Sunnah
The most outstanding recommendations of the research:
١. To exert the effort and the ability by all the influential communities of the society, according as it abilities, in order to immunize young people against this doctrinal deviation
٢. To activate the presence of the centers concerned with facing atheism, especially through social media
٣. To issue documentary programs and scientific films that establish the correct belief

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .((لا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين ، وقيوم السماوات والأرضين ، الملك الحق المبين ، الموصوف بالكمال كله ، المنزه عن كل عيب ونقص ، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله)) (١) .ومع ظهور جلالته وعظمته ، ووضوح العلم به ، وكل شيء في كونه آية تدل على أنه الواحد سبحانه ، والمتفضل على عباده بنعمة ايجادهم ، مع هذا الظهور والوضوح إلا أن فئة من الناس تنكست فطرتها ، وعميت بصيرتها حتى أنكرت الواضح البين ، وجادلت في الله تعالى .وهذا والله من فتن هذا الزمان ، فنحن اليوم في زمن تموج به الفتن من كل صوب ، فتن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ومن أعظم الفتن خطراً تلك التي تعصف بدين المسلم ، وتقدح في ثوابته ، وأي شيء أعظم من القدح في أصل الإيمان الأول ألا وهو (الإيمان بالله تعالى) .وإن المرء ليعجب أن يوجد هذا القول بين أبناء المسلمين ، وفي بلادهم ، مخالفين بذلك فطرتهم ، ودينهم ، وعقولهم ، وما نشأوا عليه ..فقد أشارت صحف عربية ودراسات أجنبية إلى تزايد ظاهرة الإلحاد في الدول العربية في السنوات الأخيرة خاصة بين أوساط الشباب والشابات ." ففي دراسة أعدها معهد غالوب الدولي عام (٢٠١٤م) أفادت الدراسة بأن السعودية هي الأعلى عربياً في نسبة الإلحاد التي وصلت (٩٪) . فيما أصبح العراق هو المتصدر في عام (٢٠١٧م) وفي مصر أعلن مفتي الديارة المصرية سابقاً د/ علي جمعة أن الأزهر أجرى دراسة على ستة آلاف شاب ، فوجد أن نسبة الملحدين منهم بلغت (١٢.٣٪) .وفي دراسة للبراء العوهلي أكد " أن المؤشرات تؤكد أن الإلحاد واللا دينية واللا أدرية والشك موجودة في بلادنا بشكل أكبر مما يتوقعه غالبية الناس ، وخصوصاً بين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين " (٢) .ومع صعوبة تحديد نسب حقيقة للإلحاد في العالم العربي بصورة دقيقة ، إلا أن الأمر يحتاج إلى بحث ونظر والوقوف على الأسباب خلف هذا الانحراف العقدي وكيفية العلاج .ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث وسأذكر فيه بعض الأسباب المؤثرة – فيما أرى – في انتشاره في العالم العربي مع ذكر العلاج لهذا البلاء نصحاً للأمة ، وحفظاً لدينها ، وبياناً للحق .وقد جعلته بعنوان " الإلحاد في العالم العربي الأسباب والعلاج "ويتكون البحث من مقدمة وفصلين :المقدمة : وفيها ذكر أهمية الموضوع ، وخطة البحث وأسباب اختيار الموضوع .الفصل الأول : أسباب الإلحاد في العالم العربي

١/ ضعف التأصيل الشرعي .
٢/ غلبة القيم المادية العلمانية .
٣/ التبعية الفكرية للعالم الغربي .
٤/ وسائل التواصل الاجتماعي .
٥/ حب الشهوات .

الفصل الثاني : علاج الإلحاد في العالم العربي

١/ ترسيخ الحضور القرآني في القضايا الفكرية والعقدية .
٢/ تقوية التأصيل العلمي الشرعي للشباب .
٣/ اتباع المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات .
٤/ مواجهة الإلحاد من قبل المختصين .

أسباب اختيار الموضوع :

١/ شيوع الإلحاد في الوقت الحاضر في العالم العربي مما لم يكن موجوداً في الأزمان السابقة .

٢/ وجود الكثير من الآليات التي تساعد الإلحاد على الانتشار والذيوع في هذا الزمن .

٣/ وصول شبهات الإلحاد إلى عدد كبير من أبناء المسلمين ممن لا يملك الحصانة الفكرية ، ولا العلم الشرعي .

٤/ رجاء هداية الضال ورد العادي على أهم الثوابت الإسلامية .هذا واللهَ أسأل التوفيق والسداد وعليه التكلان .

الفصل الأول
أسباب الإلحاد في العالم العربي

يعد انتشار الإلحاد في العالم العربي أمراً خطيراً للغاية ، خاصة مع اعتناق الشعوب العربية للدين الإسلامي بعمومها ، وما من شك أن لهذه الحالة أسبابها المتعددة علمية ، وثقافية ، واجتماعية ، ونفسية .وسأركز في هذا البحث على أبرزها مما أراه مؤثراً حقيقياً ورئيساً تدخل تحته أسباب أخرى ، منها :

أولاً / ضعف التأصيل الشرعي .

يفتقد الشباب العربي عموماً للتأصيل الشرعي الذي يعطي صاحبه قاعدة معرفية ، ومنهجية صلبة ، يستطيع من خلالها أن يفند ما يصل إليه ، ويطرأ على ذهنه من شبهات ومعلومات ، كما تمكنه من بيان الحق حيالها . فإذا افتقد الشاب التأصيل الشرعي سهل وقوعه في الشبهات الفكرية ، والسقطات المعرفية .وقد نبه د/ هشام عزمي إلى ذلك يقول : " بعض الشباب عنده ثقة زائدة بإيمانه وصحة اعتقاده ، وفي كثير من الأحيان يكون مجرد إيمان قلبي ليس مؤسساً علمياً بشكل صحيح . وعندما يتعرض هذا الصنف لتحديات واستشكالات وتساؤلات الإلحاد لا يجد لديه من العلم أو المعرفة ما يدفع به هذه التساؤلات والشكوك ، وهو في نفس الوقت لا يعترف بجهله بدينه ، وبأن الأجوبة على هذه التساؤلات موجودة ولكنه يجهلها ، فتكون النتيجة وقوعه في الإلحاد " (٣) .وممن أشار إلى هذا السبب البشير عصام قائلاً : " الضعف المعرفي الناتج عن اشكالات التعليم المتراكمة في بلادنا وهذا الضعف يكرس السطحية الفكرية ، والعجز عن الفهم العميق للإشكالات المعرفية الخطيرة التي يطرحها انتشار الإلحاد في وجه الحضارة الإنسانية " (٤) .إذن مكمن الخطورة على شبابنا اليوم ليس في الشبهات التي تلقى على أذهان الشباب ، وإنما في الجهل المعرفي وعدم القدرة على الرد عليها مع فقد إمكانية البحث عن المعرفة ، والعجز عن إيجاد المعلومة من بواطن الكتب العلمية وإلا فإن شبهات الإلحاد ماهي إلا أوهام لها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يردها ويكشف عوارها ويبين باطلها ، " فالأمية الدينية خطر كبير خاصة في ظل الانفتاح الثقافي ووسائل العولمة وثورة التقنيات الحديثة فالاتصالات السريعة أدت إلى سرعة انتشار المعلومات بغثها وسمينها ، .. وهكذا يصادف الإلحاد عقلاً خاوياً فيفتك به ، وقد يقع الشباب بسبب ضعف المناعة العلمية ضحية لأفكار تمهد للإلحاد ، أو تقود إليه أو توقع فيه " (٥) .ويؤكد أهمية هذا السبب في انتشار الإلحاد أنك تجد من خلال المواقع الإلكترونية ، أو الحوارات التي تدار معهم ، مقدار جهلهم بدين الله تعالى ، فلا يكاد يحفظ آية أو حديث ، بل ولا يحسن قراءة سورة من كتاب الله تعالى ، فضلاً عن العلم بمعناها ، وبعضهم يضيف إلى جهله ادعاء العلم والمعرفة وأن بحثه وعلمه أوصله إلى الإلحاد ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثانياً : غلبة القيم المادية العلمانية

من أهم المسببات التي أدت إلى انتشار الإلحاد في العالم العربي السياق الثقافي والاجتماعي الذي مر بالعالم العربي سنوات متعاقبة ، فقد عاش الشباب العربي عمره متأثراً بالقيم المادية العلمانية ، التي مهدت لظهور الإلحاد بعد ذلك .يقول د/ عبد الله العجيري المتخصص في ملف الإلحاد : " من مسببات انتشار الظاهرة الإلحادية عالمياً يعود في حقيقته إلى السياق الثقافي العام الذي نعيش فيه والذي تهيمن عليه للأسف الشديد قيم الحضارة الغربية بماديتها وعلمانيتها " (٦) .ويرى د/ عبد الله الشهري أن هذا السبب هو ما يفسر وجود الإلحاد في العالم العربي أكثر من أي سبب آخر يقول : " البنية العامة لوعي كثير من الأجيال المتأخرة هي في الجملة بنية ذات استعداد لا ديني في أقل الأحوال ، .. وتَشَكُل البنية العامة للوعي في هذا الاتجاه يجعلها تنفتح على ما يجانسها ويشاكلها ويؤمن استدامتها ، ويجعلها تتضايق عن كل ما من شأنه أن يهدد تماسكها . مما لاشك فيه أن بنية كهذه سوف تقرأ مخرجات العلم ، وحوادث التاريخ ، ومسائل الأخلاق ، وشواهد الحضارة ، ظواهر الطبيعة بعدسة إلحادية محدبة تضخم العنصر الإلحادي ، وتقربه من الوعي ، وأخرى تقزم المضمون الديني الإيماني وتطره عن حمى الوعي لأبعد مسافة ممكنة " (٧) .فالعالم العربي مر قبل هذه المرحلة بمراحل انتشرت فيها الأفكار المادية التي جاء بها دارون وفرويد

ونيوتن تلك النظريات سعت إلى التركيز على الجانب المادي وأغفلت الإله الغيبي ، كما أخفت الإنسان المتسامي بروحه ليحل محله إنسان مادي فقط ، ثم حلت الليبرالية ، بخطابها العدائي المتحامل على الدين الإسلامي وثوابته ، فقدحت وذمت كل شيء له صلة بالدين الإسلامي بدأ بالأوامر والنواهي ، انتهاءً بالذات الإلهية فشاع الاستخفاف والاستهزاء والقول على الله بلا علم ، والقدح في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتشكيك في كتبها وعلمائها الذين نقلوها وحافظوا عليه ، وبينوا صحيحها من سقيمها ، بل وفي الصحابة الذين بلغوها ..وهكذا للأسف وجدت بيئة جاذبة للإلحاد ، ممهدة له فبعد التشكيك في دين الله بمصدريه ماذا يبقى للمسلم ليرتكز عليه ؟ شبهات يتلو بعضها بعضاً ولا مخرج . مع الأسف أوصلتنا إلى أن نبحث الآن هل الله موجود أم لا !!!! تعالى الله وتقدس .

ثالثاً / التبعية الفكرية للعالم الغربي .

نحن اليوم نعيش في زمن الضعف والانبهار واستيراد الأفكار والتقليد لكل ما هو غربي ، " وقد تكونت التبعية الفكرة من ثنائية التغلب الغربي (الهيمنة) والضعف العربي الإسلامي (الإنهزامية) وهذه الثنائية المتداخلة بين الداخل والخارج هي التي أنتجت هذه التبعية المقيتة التي وصلت إلى العقل الباطن في المجتمعات الإسلامية وأصبحت تمارس بعض أنماطها بصورة عفوية .. فالمتغلب هو الذي يفرض فكره وثقافته على المغلوب ، فإذا وصلت الهزيمة في المغلوب إلى قلبه وضميره وعقله أصبح يقلد غالبه ، ولا يرى ولا يفكر ولا يعمل .. إلا من خلاله " (٨) .هذه التبعية التي مني بها العالم العربي من أعظم مخاطرها إختراقها منظومة القيم العقدية والأخلاقية ، فهي تدمر هيبة الدين وثوابته في القلوب ، وتوهن شأن القيم والأخلاق .ومع تصاعد موجة الإلحاد في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر وصلت آثارها للعالم العربي بسبب الحركة النشطة والدؤوبة لترجمة الكتب والمقالات والأفلام السينمائية والأفلام الوثائقية التي تحمل الفكر الإلحادي وسار المجتمع على ما اعتاده من تقليد كل ما هو آت من الغرب فلما تصاعدت هناك ظهرت هنا .يقول د/ خالد الشهري : " إن المد الإلحادي الجديد في بلاد العرب والمسلمين لا يمكن فصله عن المد الإلحادي في الغرب الذي صاحب العولمة وكان أحد أهم إفرازات الفكر المادي ، ومما عزز ذلك في المجتمعات العربية ضعف الخطاب الديني التقليدي وعدم مزامنته للصراع الحضاري مما جعله في جزء كبير منه يعجز عن رد هجمات الملاحدة وشبهاتهم الفلسفية والأفكار العلمية التي يستندون عليها . كما أسهم في ذلك بشكل كبير ضعف بلاد العرب الحضاري والعلمي " (٩) .وإلى هذا السبب أشار البشير عصام يقول : " مع أننا لم نعرف شيئاً من الصراع بين الكنيسة والعلم ، ولا نشأت النظريات الفلسفية والعلمية المكرسة للإلحاد بين ظهرانينا ، إنما تلقينا ذلك كله من الغرب على أنه جزء من المنظومة الفكرية الكاملة التي دخلت إلى بلادنا .. وقد دخلت هذه المنظومة على أنها شيء متكامل لا يمكن التمييز فيه بين ما يمكن قبوله وما يمكن رفضه واستقر في أذهان الكثير من أن التقدم الحضاري الغربي سببه أن الغربيين عزلوا الدين ، بل نحوا فكره الإله الخالق من أذهانهم فيلزم أن نفعل الشيء ذاته للوصول إلى النتيجة نفسها " (١٠) .وفيما حكاه د/ مصطفى محمود عن نفسه في كتابه الشهير (رحلتي من الشك إلى الإيمان) ما يؤكد أثر التبعية الفكرية في إلحاد الشباب . يقول عن أسباب إلحاده : " جئت في زمن تعقد فيه كل شيء ، وضعف صوت الفطرة ، حتى صار همساً ، وارتفع صوت العقل ، حتى صار لجاجة وغروراً واعتداداً ... وكانت الصيحة التي غمرت العالم هي : العلم ، العلم ، ولا شيء غير العلم ، وحول أبطال الغرب وعباقرته كنا ننسج أحلامنا ومثلنا العليا ، وكأن الشرق العربي هو التخلف والضعف والتخاذل والانهيار ، وكان طبيعياً أن نتصور أن كل ما يأتينا من الغرب هو النور والحق وهو السبيل إلى القوة والخلاص " (١١) .فالعالم الإسلامي والعربي لم يعش الأسباب التي أدت إلى ظهور الإلحاد في العالم الغربي حيث هيمنت الكنيسة النصرانية على مناحي الحياة ومنعتهم العلم ، وحتى السؤال ، ومع فساد معتقدها ومخالفته لما وصلوا إليه من العلوم ، فقد المجتمع الغربي ثقته في الدين النصراني وفي ظل غياب المنهج الصحيح لم يجد العالم الغربي طريقاً سوى الإلحاد الذي اقترن لديهم بالعلم والاكتشافات العلمية والخروج من العصور المظلمة .أما العالم الإسلامي فهو بحمد الله تعالى على المنهج الصحيح الذي يدعم العلم ويحث على النظر والتفكر وكل يوم يظهر فيه اكتشاف جديد نجد ما يدعمه في كتاب الله تعالى ويؤيده فلا تعارض في ديننا بين العلم والإسلام فنحن إذن لا مبرر لدينا للإلحاد إلا التقليد الأعمى بسبب التبعية الفكرية التي أوصلتنا إلى أعظم انحراف عقدي يصيب المسلم .

رابعاً / وسائل التواصل الاجتماعي .

يمتلئ العالم اليوم بوسائل تواصل سهلت على الناس نقل المعرفة من هنا وهناك ، مع توفرها في أيدي الشباب فالشريحة العظمى منهم تمتلك تويتر ، وفيسبوك ، وتتابع اليوتيوب .وتكمن خطورة تلك الوسائل فيما يلي :

أولاً : سرعة انتشار الأفكار والشبهات الإلحادية من خلالها .

ثانياً : اتساع دائرة تأثيرها لوجود قوالب تقدم فيها أفكار لأكبر شريحة ممكنة .

ثالثاً : تقدم الشبهات والأفكار الإلحادية لمن ليس له أدنى اهتمام بمثل هذه الموضوعات ، وليست لديه اشكالات ، فتصله رسائلهم فيتأثر بها وتزرع في نفسه الحيرة والشك .

رابعاً : استغلال الملاحدة لهذه الوسائل بدرجة كبيرة جداً بسبب حرصهم على التخفي وعدم الظهور أمام العوام .

خامساً : تصاعد الحملة التشكيكية في هذه الوسائل من القدح في الثوابت ، وإلقاء الشبهات حول القرآن والسنة إلى القدح في الذات الإلهية وإلقاء الشبهات حول وجود الشر في العالم ، وأين الله ؟ ومن خلق الله ؟ وما الحكمة من أفعال الله ؟

سادساً : يرافق المعلومة في هذه الوسائل مؤثرات سمعية وبصرية جاذبة تسهل طرح الشبهة على شاب يفتقر للعلم الشرعي والحس النقدي .

سابعاً : يتم من خلالها الدعاية لمواقع ومدونات إلحادية ، تحمل الكثير من الشبه ، والمغالطات العقلية ، بأساليب تتفنن في جذب الشباب .

أدرك ملاحدة العرب خطورة هذه الوسائل فاتخذوها مطية لنشر آرائهم وأفكارهم ، لأنها تتيح لهم خيار عدم الكشف عن هويتهم الحقيقية ، كما وفرت لهم مساحات كبيرة من الحرية وأكثر أماناً لتبادل الآراء والأفكار دون رقيب أو حسيب .الواقع يثبت وبجلاء أن هذه الوسائل هي اليوم الموجه الثقافي بالغ الأثر على المجتمع جميعه وخصوصاً الشباب .. لذا فقد نفذ الملاحدة من خلالها بتخطيط ونشاط وتركيز يمجدون أساطين الملاحدة ، ويبثون شبهاتهم ، ويشككون في مسلمات عقائدية ، وحقائق دينية ، ليتلقاها الشاب الغض فيقع في حيرة وشك وتخبط فينحو به نحو الإلحاد .يقول الأستاذ / أحمد السيد : " الميدان الأكبر لبث شبهات هذه الموجة ولاستقبالها والتأثر بها هو شبكات التواصل الاجتماعي ، وهذا يعطي الموجة بعداً توسعياً كبيراً غير خاضع للموانع الجمعية المفترضة ، وأقصد بالموانع الجمعية المفترضة (المسجد ، المدرسة ، الأسرة) ويمكن أن يتأثر بها من عاش في كنف أبوين صالحين " (١٢) .إذن فهذه الوسائل لم يعد أحد في مأمن عنها كبر أم صغر ، فمن غير الممكن التأثير عليها أو إعادة توجيهها وهذا مكمن خطورة أيضاً لذا فهي من أقوى المؤثرات في انتشار الإلحاد .

خامساً : حب الشهوات

خلق الله تعالى الإنسان محباً للشهوات قال تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤] .ولأن الله تعالى الذي خلقه وهو الأعلم به أباح له الطيبات من الطعام والشراب والنساء ، وحرم عليه الخبائث . وشرع له من الأحكام ما يضبط هذه الشهوات فيشبعها دون اعتداء على حرمات الله تعالى .وقد استغل الملاحدة هذه الطبيعة البشرية فأغرقوا الناس بصنوف الشهوات وعرض العري ، وتحبيب الزنا ، لعلمهم بأن هذا الباب من أوسع الأبواب التي تؤدي إلى بغض الأديان وطريقتهم تعتمد على " تعليق قلوب ضعاف الإيمان والتقوى بمختلف الشهوات الجسدية والجنسية ، فإذا اعتادوا عليها وألفوها – وربما أدمنوها – يصطدمون ساعتها وحتماً بما ترفضه أديانهم " (١٣) فيجنحوا حينئذ للإلحاد والذي يجعلهم يعيشون حياة اللهو والمحرمات دون حسيب أو رقيب أو شعور بالذنب .ويضع د/ هشام هذا السبب من أبرز الأسباب يقول : " سطوة الشهوات وهذا من أبرز أسباب الإلحاد بين المراهقين حيث يتعارض الاستمتاع بالشهوة مع الشعور بالذنب ووخز الضمير ويكون على المرء أن يختار بين طاعة الله ، والانخراط في الشهوات ، فيكون قراره هو التخلص من الله والدين وتكاليفه " (١٤) .وممن ذكره في حديثه عن الأسباب د/ عمرو شريف يقول : " يبتعث الكثير من شبابنا إلى دول العالم الغربي والدول الشيوعية (سابقاً) ويعاينون نمطاً من الحياة تحتل فيه العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج موضعاً محورياً باسم الصداقة والحب .كذلك فإن هذا النمط من الحياة يدخل بيوتنا عن طريق الإعلام والسماوات المفتوحة ، كما تعرض المواقع الإباحية على الشباب كما كبيراً من المثيرات .نتيجة لذلك ، يطوق بعض شبابنا إلى هذا النمط من الحياة وقد تمثل التنشئة الدينية حاجزاً أخلاقياً وعبئاً نفسياً يؤرقهم فيلجأ بعضهم للهروب من هذه المعاناة إلى إسقاط منظومة الإله والدين من حياتهم بالتنكر لها " (١٥) .وهكذا يظهر أن الإلحاد في بلادنا خاصة بين المراهقين والشباب لم ينشأ بتفكر عقلي أو بحث حول أدلة إثبات وجود الله تعالى ، إنما التكاليف الدينية الشرعية ، خاصة وأن الشباب يرفضون القيود مهما كان مصدرها ، ويحرصون على العيش وفق توجيه عقولهم ، واختياراتهم الشخصية ومن هنا يسعون إلى تحطيم الثوابت وإنكارها ، والنظر إليها على أنها تعارض حريتهم الشخصية ، وتمنعهم من الاستمتاع بحياتهم ، وعلى رأس هذه الثوابت الدين والقيم فيتجهون نحو الإلحاد متحررين من كل قيد .

الفصل الثاني
علاج الإلحاد في العالم العربي

أولاً / ترسيخ الحضور القرآني في القضايا الفكرية والعقدية

أنزل الله تعالى القرآن لهداية الناس كافة ، فهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور من الشبهات والشهوات ، فآياته عظيمة جليلة توجه العقل والقلب ، وهو كتاب بيان وتبيان يبين الله فيه الحق ويرسخه بالأدلة الفطرية والحسية والعقلية ، ويرد على أهل الزيع والضلال بما يقوي القلب ، ويجلي النظر ، ويفتح البصيرة .يقول ابن القيم رحمه الله : " جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين ، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ..وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية : من التوحيد ، وإثبات الصفات ، وإثبات المعاد والنبوات ، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة ، مثل القرآن . فإنه كفيل بذلك كله ، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها ، وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً . فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك " (١٦) .فالقرآن ، بحروفه وكلماته وآياته هو ترسيخ لأعظم معتقد يؤمن به المسلم وهو وجود الله تعالى قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٨٢] .وقال سبحانه :﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٨] .فالإنس والجن عاجزون عن أن يأتوا بآية من مثله .فلمن يريد معالجة هذه الظاهرة لابد من استحضار آي القرآن وربط الشباب والناشئة بهذا الكتاب العظيم ، وتعظيمه في قلوبهم . وأن يحاور بالقرآن ، ويناقش بما فيه من الآيات الفطرية والعقلية ، فإن الله جعل الإيمان به من الغرائز المتأصلة في النفس البشرية فهو يؤمن بالله رباً ويذعن لذلك إذعاناً ذاتياً .قال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] .فالبشر كلهم مؤمنهم وكافرهم مقرون بالله تعالى قال الله تعالى عن قوم فرعون :﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل : ١٤] .كما أن القرآن الكريم قد عرض لنماذج من حوار الأنبياء مع من يزعم إنكار الخالق كالنمروذ وفرعون .ويمتلي القرآن بالآيات التي توجه الإنسان إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض وما يحيط بالإنسان من مخلوقات تتجلى فيها قدرة الله وإحكامه وإتقانه تجعل كل إنسان سلم قلبه وعقله يقر بوجود الله تعالى .قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] .قال البغوي رحمه الله في تفسيرها بعد بيان هذه الآيات الباهرة : " لقوم يعقلون فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً " (١٧) .وقال السعدي رحمه الله : " كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات ، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات ، وزاد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة ، علم بذلك ، أنها خلقت للحق وبالحق ، وأنها صحائف آيات ، وكتب دلالات ، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته .. وأنها مسخرات ، ليس لها تدبير ولا استقصاء على مدبرها ومصرفها . فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون , وإليه صامدون وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات ، فلا إله إلا الله لا رب سواه " (١٨) .كما سلك القرآن طرقاً أخرى للدلالة على وجوده مثل الاستدلال بالخلق والتدبير والملك لهذا الكون العظيم .قال تعالى :﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة النمل : ٦٠] .يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " أما ثبوت الموجود المفتقر المحدث الفقير ، فيما نشاهده من كون بعض الموجودات يوجد بعد عدمه ، ويعدم بعد وجوده ، من الحيوانات والنباتات والمعدن ، وما بين السماء والأرض من السحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك ، وما نشاهده من حركات الكواكب ، وحدوث الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، فهذا كله فيه من حدوث موجود بعد عدمه ، ومعدوم بعد وجوده ، ما هو مشهود لبني آدم يرونه بأبصارهم ، ثم إذا شهدوا ذلك فنقول : معلوم أن المحدثات لابد لها من محدث والعلم بذلك ضروري " (١٩) .وبعدٌ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴿ [سورة إبراهيم ١٠] كل آية في القرآن الكريم هي دلالة على وجود الله سبحانه ، وكل آية في كون الله تعالى هي دليل على وجوده لكن لا ينتفع بتلك الآيات إلا أولوا الألباب الذين يتفكرون ويتدبرون .قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١] .

ثانياً / تقوية التأصيل العلمي الشرعي للشباب

تقوية الجانب العلمي الشرعي من أهم الطرق التي توصل الإنسان إلى بناء علمي محكم ورصين يكون له قاعدة علمية صلبة تحميه من الوقوع في الشبهات ، والتخبط والتشتت .وكم نحن بحاجة إليه اليوم من أي وقت مضى حيث تتخطفنا الشبهات من كل مكان ، فالاتجاهات متباينة

، ومنابع التلقي متعددة ، والأفكار والتصورات مختلفة .وتكمن أهمية التأصيل الشرعي إلى أنه ينمي في الشاب الحس النقدي فيمحص ، ويحلل ، ويرد ، ويرجح ، ويستدل . فلا يسلم لكل ما يقال ولا يصدق كل ما يقرأ ، بل تصبح لديه مهارة البحث والتنقيب .

فلمواجهة هذه الشبهات لابد من العناية بالرسوخ العلمي الشرعي .يقول ابن القيم رحمه الله : " وقوله [ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة] هذا لضعف علمه ، وقلة بصيرته إذا وردت على قلبه أدنى شبهه قدحت فيه الشك والريب ، بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكاً لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلوله مغلوبة .والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فمتى باشر القلب حقيقة العلم لم تؤثر تلك الشبهة فيه ، بل يقوي علمه ويقينه بردها ، ومعرفة بطلانها ، ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشك بأول وهلة ، فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكاً مرتاباً " (٢٠) .وإن أعظم ما تدفع به الشبه علم العقيدة فهو أصل الأصول ، وأساس العلوم الشرعية ، وأول ما ينبغي العلم به ، والاهتمام في تحقيقه ، ولأهل العلم عباراتهم التي تقرر أهمية هذا العلم على غيره من العلوم .قال الماوردي رحمه الله : " إن شرف المطلوب بشرف نتائجه ، وعظم خطره بكثرة منافعه ، وبحسب منافعه تجب العناية به ، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته ، وأعظم الأمور خطراً وقدراً ، وأعمها نفعاً ورفداً ما استقام به الدين والدنيا ، وانتظم به صلاح الآخرة والأولى ، لأن باستقامة الدين تصح العبادة ، وبصلاح الدنيا تتم السعادة " (٢١) .وقال ابن القيم رحمه الله : " ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً ، وشرفه لشرف معلومه تابعاً ، كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد ، وأنفعها على أحكام أفعال العبيد " (٢٢) .ويقول شارح الطحاوية ابن أبي العز رحمه الله : " فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم ، إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع .. وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ، لأنه لا حياة للقلوب ، ولا نعيم ولا طمأنينة ، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله " (٢٣) .ولقد اهتم العلماء ببيان أهمية هذا العلم ، وحث الناس على تعلمه وتعليمه ذاك أنه العلم الذي يحصن الإنسان بالإيمان ويجعله كالدرع الذي تتكسر عليه كل سهام الشبهات .يقول السعدي رحمه الله : " فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت ، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد ، بحيث يكون كالجبال الرواسي ، لا تزلزله الشبه والخيالات ، ولا يزداد على تكرار الباطل والشبه إلا نمواً وكمالاً " (٢٤) .فالعلم بوجود الله تعالى وتوحيده ومعرفة الأدلة على ذلك والعلم بها يرسخ في القلب اليقين الجازم الذي لا تزلزله أي شبهة ، بل إن هذه الشبهة لتتكسر أمام صلابة المعتقد ، وقوة اليقين ، فيكون العلم هو الحصن الحصين ، والدرع المتين ، لقلب الشاب وعقله ، وبذلك تتكون لديه الحصانة الذاتية من الوقوع في الشبهات .

ثالثاً / اتباع المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات

إلقاء الشبهات ونشرها بين الناس منهج قديم تعامل به أعداء الإسلام مع أهله ، فكانوا يلقون الشبهات هنا وهناك . وقد قابل السلف تلك الشبهات آنذاك بمنهجية علمية رصينة أماتت الباطل وبينت زيفه ، ويجب علينا اليوم أن نستفيد من تلك المنهجية والقواعد التي وضعوها للتعامل مع الشبهات في مواجهة الإلحاد والرد عليه ومنها :

١/ تجنب مواطن الشبهات الشبهات خطرها عظيم ، ودفعها وإخراجها من القلب صعب ، لذا حرص أهل العلم من أهل السنة أن يجتنبوا الناس سماع الشبهات وكلام أهل البدع وحذروا من ذلك أشد التحذير ، وذلك لعلمهم بأثرها على القلب فقل من يسمع تلك الشبهات ولا يتأثر بها .قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وإن جمهورهم – أي الفلاسفة وأهل الكلام – أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم ، ولهذا قل إن سمعت أو رأيت معرضاً عن الكتاب والسنة ، مقبلاً على مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه أو اعتقاده " (٢٥) .

وقال القرطبي رحمه الله : " وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك وببعضهم إلى الإلحاد " (٢٦) .لذا فقد شدد السلف على عدم السماع عنهم والجلوس إليهم فعن معمر قال : كان طاووس جالساً وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء ، فأدخل طاووس أصبعيه في أذنيه ، وقال : يا بني أدخل أصبعك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف " (٢٧) .ومن نصائح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لتلميذه ابن القيم ما ذكره في كتابه مفتاح دار السعادة حيث قال : " قال لي شيخ الإسلام وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد : لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الاسفنجة ، فينتشر بها ؛ فلا ينضح إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة ، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها ؛ فيراها بصفائه ، ويدفعها بصلابته ، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليه صار مقراً للشبهات " (٢٨) .ويقول الشوكاني رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى :ﭽ ﭑ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﭼ [سورة الأنعام : ٦٨] ." وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة

الذين يحرفون كلام الله ، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة . فإنه إذا لم يُنكر عليهم ويغير ما هم فيه ، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم وذلك يسير غير عسير وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة ، فيكون حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر " (٢٩) .وقال البغوي رحمه الله : " فعلى المرء المسلم إذا رأي رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً ، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حياً وميتاً " (٣٠) .

هذا الموقف من العلماء رحمهم الله تعالى في التحذير من مواطن الشبهات هو من العمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد وجه صلى الله عليه وسلم أمته إلى الفرار من فتنة المسيح الدجال وهي من أعظم الفتن التي تمر بها الأمة .ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فو الله أن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه ، مما يبعث به من الشبهات " (٣١) .فهذا التوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم يعم كل فتنة لها خطرها على دين المؤمن .يقول الشيخ السعدي رحمه الله في حديثه عن فتنة الدجال وأن من جنسها " الشبهات المزوقة المموهة ، التي يفتتن بها الخلق الكثير ومتى تأملت أحوال البشر ، وكيف سرى الإلحاد فيهم بصورة هائلة ، وزخرفت له الأقوال ، وروج بأساليب متنوعة ، ونصر بالقوى المادية ، وجرف بتياره وفتنته الخلق الكثير ، ولم يسلم من فتنته إلى اليسير ممن عصمهم الله ، وحفظهم بالبصيرة النافذة ، والبعد عن هذه الفتنة " (٣٢) .

٢/ سؤال أهل العلم

من أهم الأمور التي تتم بها معالجة الشبهات هو الرد عليها ، فإن كان المتشكك ليس من أهل العلم ، وليست لديه القدرة على البحث عن الجواب فعليه بأهل العلم فإنه ما من سؤال إلا وعليه الجواب ودين الله هو الحق الثابت الذي لا يخشى البحث والعلم والسؤال بل وجه الله تعالى بسؤال أهل العلم . قال تعالى :ُ ا فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ً [سورة النحل : ٤٣] .قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيرها : " وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل ، فإن الله أمر من لا يعلم ، بالرجوع إليهم ، في جميع الحوادث ، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم ، وتزكية لهم ، حيث أمر بسؤالهم ، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية " (٣٣) .

وأخرج البخاري رحمه الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : " وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله ، وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلاً فشفاه منه " (٣٤) .قال ابن حجر رحمه الله في شرحه : " أي من تقوى الله أن لا يقدم المرء على ما يشك فيه حتى يسأل من عنده علم فيدله على ما فيه شفاؤه " (٣٥) .وفي زمن الفتن والشبهات تصبح الحاجة إلى العلماء ملحة فإنهم أول من يتفطن لها قال الحسن البصري : " إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل " (٣٦) .فعلى الشباب الاعتصام بالكتاب والسنة وسؤال أهل العلم والتمسك بما هم عليه ، مع عدم نشر الشبهات التي تصلهم أو يطلعون عليها عبر وسائل التواصل إلى غيرهم .كما أوصى بذلك ربنا سبحانه وتعالى حين قال :ُ ا وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ً [سورة النساء : ٨٣] .فالله تعالى أمرنا بالرجوع إلى العلماء الربانيين في الأمور التي تهم الأمة ، وتمس مصالحها العامة ، فهم أنصار شرع الله ، وهو العون بعد الله في النجاة من الفتن .

٣/ تقوية الإيمان والإكثار من العبادة

من أهم ما نبه إليه الشرع وقت الفتن تقوية الإيمان بالله تعالى الإكثار من العبادة ، والالتجاء إلى الله تعالى ، والفرار بدينه من الشبهات . فإن قلباً تعلق بالله تعالى إيماناً ويقيناً وتوكلاً وخشية لا يمكن أن تؤثر فيه الشبهات . قال تعالى :ُ ا أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ ً [سورة الأنعام : ٨٠] فمن امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً بالله فهل يمكن أن يجادل في ربه ؟!! وهرقل عندما سأل أبا سفيان عمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه " هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فقال أبو سفيان : لا . فقال هرقل : وكذلك الإيمان ، حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد " (٣٧) .فالإيمان الحق الذي يملأ القلب لا تسخطه القلوب ولا تتبدل عنه ، وهذا الإيمان يدفع الإنسان زمن الفتن إلى الإكثار من العبادة ، فإن العبادة هي طريق الثبات أمام الفتن ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " العبادة في الهرج كهجرة إليّ " (٣٨) .قال النووي رحمه الله في شرح الحديث : " وسبب كثرة فضل العبادة فيه : أن الناس يغفلون عنها ، وينشغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا أفراد " (٣٩) .وقال الطحاوي رحمه الله : " من تشاغل في العبادة في تلك الحال متشاغلاً بما أمر بالتشاغل به ، تاركاً لما قد تشاغل به غيره من الهرج المذموم ، الذي قد نهي عن الدخول فيه والكون من أهله ، فكان بذلك مستحقاً للثواب الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث " (٤٠) .ونبه الإمام القرطبي رحمه الله إلى سبب آخر للثواب فقال : " فالمتمسك الصادق في ذلك الوقت ، والمنقطع إليها المعتزل عن الناس ، أجره كأجر المهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يناسبه من حيث أن المهاجر قد فر

بدينه عمن يصده عنه إلى الاعتصام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك هو المنقطع للعبادة ، فر من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه ، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه ، وفر من جميع خلقه " (٤١) .إذن هذا الحديث توجيه من المصطفى صلى الله عليه وسلم بالإكثار من العبادة زمن الفتن لما لها من الأجر العظيم ، والانشغال بما خلق الإنسان لأجله ، وأيضاً إشغال له عن الفتن ، والتعلق بها ، والوقوع فيها

رابعاً / مواجهة الإلحاد من قبل المختصين .

يقول الباحث الغربي (ايزايا برلين) محذراً من ترك الأفكار المخالفة دون تصد لها : " إن إهمال الأفكار من قبل الذين ينبغي أن يعتنوا بها قد يؤدي أحياناً إلى اكتسابها قوة كاسحة لا يمكن مقاومتها أو كبحها تفرض على أعداد هائلة من البشر " (٤٢) .

فالأفكار خاصة إذا شاعت وانتشرت قد تكتسب قوة إذا تركت دون نقد أو رد . لكن هذه القضايا والشبهات تحتاج إلى المتخصص في العلم الشرعي ، ذو المهارة في التحليل والنقد ، والقدرة على الاقناع ، واستحضار الأدلة النقلية والشواهد العقلية وإلا كان ضرره أكبر من نفعه .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : " فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور ، وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين " (٤٣) .

إذن لابد من الرد على أهل الإلحاد ومناقشتهم ، والرد على شبهاتهم حتى لا يستمر الاغترار بها من قبل الشباب ، وبياناً للحق ، واستجابة لأمر الله تعالى ، فقد جاء الدليل على وجوب البيان وتحريم كتمان العلم قال تعالى :ﱡ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﱠ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﱠ [سورة البقرة : ١٥٩-١٦٠] .فهذه الآية كما يقول ابن عطية رحمه الله : " تتناول كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه " (٤٤) .قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية : " وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً " (٤٥) .وقال السعدي رحمه الله في تفسيرها : " وهم جميع الخليقة ، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة ، لسعيهم في غش الخلق ، وفساد أديانهم ، وإبعادهم من رحمه الله ، فجوزوا من جنس عملهم .. ، فالكاتم لما أنزل الله مضاد لأمر الله ، مشاق لله ، يبين الله الآيات للناس ويوضحها ، وهذا يسعى في طمسها وإخفائها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد " (٤٦) .فالبيان والرد على الإلحاد ضرورة ملحة خاصة في هذه الفترة ، يجب على كل قادر على الصدع بالحق ، ورد الشبهات ، وسد الثغرات التي تدخل في عقول وقلوب شبابنا . فالرد على هؤلاء واجباً شرعياً ، وضرورة عقلية لأهل العلم الراسخ ، والإيمان الصادق .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد

فإنه قد تبين بتمام هذا البحث نتائج عدة منها :

١/ وجود الإلحاد في العالم العربي وإن لم يصل إلى حد الظاهرة .

٢/ لهذا الإلحاد أسبابه ومن أهمها ضعف العلم واليقين بالله تعالى .

٣/ تبني العالم العربي لآراء ونظريات غربية شرقية أوصلته للإلحاد .

٤/ إغراق الشباب العربي بالشهوات والملهيات طريق يسلك به إلى الإلحاد .

٥/ أن التصدي لهذا الواقع المؤلم ممكن بالرجوع إلى منهج الكتاب والسنة .

وفي خاتمة البحث توصي الباحثة بما يلي :

١/ يحتاج الشباب إلى وقفة صادقة من جميع شرائح المجتمع لتحصينه من هذا الانحراف العقدي ، كل بما أتيح له من الإمكانات والقدرات .

٢/ على كل صاحب علم وقدرة على الرد ومواجهة الإلحاد أن يستفرغ وسعه وجهده في ذلك وليحتسب الأجر .

٣/ على المراكز المعنية بمواجهة الإلحاد والرد عليه تفعيل وجودها وحضورها على الساحة خاصة عن طريق وسائل التواصل فقل من الشباب اليوم من يتجه إلى القراءة في الكتب .

٤/ على وزارة الإعلام إصدار البرامج الوثائقية والأفلام العلمية التي تسهم في ترسيخ المعتقد الصحيح وتوجيه الشباب إلى الإيمان بالله تعالى ، ذلك بعرض برامج عن هذا الكون ونشأته وأدلة وجود الله الكونية مع الاستشهاد بأقوال علماء الفلك المؤمنين .أخيراً الإلحاد فتنة يمحص الله بها المؤمنين وقوة إيمانهم ، وثباتهم في وجه الباطل ﱡ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﱠ [سورة العنكبوت :

٢]وبإذن الله ستتجاوزها الأمة كما تجاوزت غيرها ، فالإلحاد فكرة باطلة تحمل بطلانها معها ، وتكذبها الفطرة ، والعقل ، والواقع .والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله

هوامش البحث

(١) ابن القيم الجوزيه ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٨٦/١) .

(٢) قاسم حسين صالح ، تنامي ظاهرة الإلحاد في العالم العربي ، شبكة العلوم النفسية والعربية على الانترنت ، ص ١-٢ .

(٣) د. هشام عزمي ، الإلحاد للمبتدئين دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد ، دار الكاتب للنشر والتوزيع ، مصر ، ط٢ ، ٢٠١٥م ، ص٣٣ .

(٤) البشير عصام ، أسباب الإلحاد ، مركز يقين ، على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٠١٨/١/١٨م .

(٥) أحمد محمد الشحي ، مشكلة الإلحاد أسبابها وعلاجها ، منتدى العلماء ، ٢٦/ مارس / ٢٠١٨م .

(٦) عبد الله صالح العجيري ، ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد ، تكوين للدراسات والأبحاث ، ط١ ، ١٤٣٥هـ ، ص١٠٢ .

(٧) عبد الله بن سعيد الشهري ، ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والإيمان ، دار الكاتب ، مصر ، ط٢ ، ٢٠١٦م ، ص٢٠ .

(٨) عبد الرحيم السلمي ، إشكالية التبعية الفكرية والثقافية ، مجلة البيان ، ٢٠١٣/١٠/٢٤م .

(٩) خالد محمد الشهري ، كيف ظهر الإلحاد في المجتمعات العربية قديماً وحديثاً ، شبكة الألوكة ، بتاريخ ١٤٣٩/٤/٢٩هـ .

(١٠) البشير عصام ، أسباب الإلحاد ، مرجع سابق .

(١١) مصطفى محمود ، رحلتي من الشك إلى الإيمان ، مكتبة نور ، ص٤-٦ .

(١٢) أحمد يوسف السيد ، سابغات ، مركز تكوين ، ط١ ، ١٤٣٧هـ ، ص٢٤ .

(١٣) أحمد حسن ، الميديا والإلحاد ، مركز دلائل ، ط٢ ، ١٤٣٧هـ ، ص٥٩ .

(١٤) هشام عزمي ، الإلحاد للمبتدئين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(١٥) عمرو شريف ، خرافة الإلحاد ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٣٥هـ ، ص٤٠٢-٤٠٣ .

(١٦) ابن القيم الجوزيه ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ت محمد حامد الفقي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، (٤٤/١) .

(١٧) الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل ، ت : محمد النمر وآخرون ، دار طيبة ، ١٤٠٩هـ ، (١٧٨/١) .

(١٨) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٧هـ ، ص٦١

(١٩) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ، ت : محمد رشاد سالم ، دار الكنوز الأدبية ، (٢٦٥/٣) .

(٢٠) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، مرجع سابق ، (١٤٠/١) .

(٢١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ت : جمال عبد العال ، مكتبة عباد الرحمن ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ص١١ .

(٢٢) ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ، (٤/١) .

(٢٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ت : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٧هـ ، (٥/١-٦) .

(٢٤) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، مرجع سابق ، ص ٧٣٢ .

(٢٥) عمر بن علي البزار ، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، ت : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٣٣-٣٤ .

(٢٦) أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ت : محي الدين ديب وآخرون ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، (٦٩١/٦-٦٩٢) .

(٢٧) عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ت : السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، ط٥ ، ١٤١٢هـ ، ص٢٢ .

(٢٨) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، مرجع سابق ، (٤٤٣/١) .

(٢٩) محمد بن علي الشوكاني ، فتح القدير ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، (١٢٨/٢) .

(٣٠) الحسين بن مسعود البغوي ، شرح السنة ، ت : شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، (٢٢٤/١)

(٣١) أبو داود السجستاني ، سنن أبي داود ، ت : محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ح (٤٣١٩) . وصححه محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ح (٦٣٠١) .

(٣٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، فتنة الدجال ، مجموع مؤلفات الشيخ رحمه الله ، ص٢٥٩ .

(٣٣) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، مرجع سابق ، ص٣٩٤ .

(٣٤) أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ح (٢٩٦٤) .

(٣٥) المرجع السابق ، (٩٨/٧) .

(٣٦) محمد ابن سعد البصري ، الطبقات الكبرى ، ت : محمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، (١٢٢/٧) .

(٣٧) عبد الله بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، المكتب الإسلامي ، ح (٧) .

(٣٨) مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، المكتب الإسلامي ، ح (٢٩٤٨) .

(٣٩) المرجع السابق ، (٨٨/١٨) .

(٤٠) أحمد بن محمد الطحاوي ، شرح مشكل الآثار ، ت : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، (٢٥٠/١٢) .

(٤١) أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، مرجع سابق ، (٣٠٩/٧) .

(٤٢) نقلاً عن عائض بن سعد الدوسري ، عقولنا تحت القصف ، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية .

(٤٣) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي ، (١٦٥/٢٠-١٦٦) .

(٤٤) عبد الحق بن عطيه الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت : عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، (٢٢٨/١) .

(٤٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار الخير ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، (٤٣٦/١) .

(٤٦) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، مرجع سابق ، ص٦٠ .